

تمثيلات الصراع الاجتماعي في رواية "الجازية والدرافيش" لـ "عبد الحميد بن هدوقة" دراسة
سوسيولوجية

The representations of the social conflict in the novel "jaziya and the dervishes" by "Abdul Hamid bin hadouka" is a sociological study

عبد الله رايس

جامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعد الله، الجزائر، raisabyabdallah@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2025/03/04 تاريخ القبول: 2025/05/14 تاريخ النشر: 2025/06/02

ملخص:

انطلاقاً من أهمية العلاقة التي تربط الأدب بالمجتمع، نهدف في مقالنا هذا لتسليط الضوء على مفهوم (الصراع الاجتماعي) و (تمثلاته)، داخل المجتمعات المختلفة في النصوص الأدبية ونخص بالذكر الجنس الروائي منها، وما نصبوا إليه في بحثنا هو الكشف عن الطريقة التي يتمثلها (الصراع الاجتماعي) داخل هذه النصوص، متسائلين عن كيفية تظاهرة داخلها، مراعين الجانب النظري والجانب التطبيقي على رواية جزائرية، حيث برزت فيها تيمة الصراع بأشكال مختلفة، متسائلين عن الكيفية التي تمثل بها الصراع الاجتماعي داخل هذا النص؟
كلمات مفتاحية: التمثيلات، الصراع الاجتماعي، النقد الاجتماعي.

Abstract:

Based on the importance of the relationship between literature and society, we aim in this article to shed light on the concept of (social conflict) and (its representations), within different societies in literary texts, and especially the novel genre, and what we aim at in our research is to reveal the way in which (social conflict) is represented within these texts, wondering about how it manifests itself within them, taking into account the theoretical and applied aspect and Asking about how it manifests itself inside it, taking into account the theoretical side and the Applied side on an Algerian novel, where the theme of the conflict emerged in various forms, wondering how the social conflict is represented inside this text?

Keywords: Representations, social conflicts, Social criticism.

1. مقدمة :

إن مفهوم "الصراع الاجتماعي social conflicts" و "تمثلاته" داخل المجتمع، جعلت منه أرضا خصبة للدرس الأدبي، ونخص هنا بالذكر الجنس "الروائي" تحديدا، وما نصبوا إليه في مقالنا هذا هو الكشف عن الطريقة التي تتمثلها "الصراعات الاجتماعية" داخل النصوص الروائية، متسائلين عن الكيفية التي تمثلها "الصراع الاجتماعي" داخل النص الروائي، للبحث عن المسكوت عنه و المستتر داخله، لذلك أخضعا بحثنا لمنهج "النقد الاجتماعي" كأداة نقدية تعضده وتوازره، للكشف عن تمثلات هذا الصراع داخل المجتمعات في النصوص الروائية، حيث ظهر هذا المجال النقدي الواسع، كردة فعل تجديدية على المناهج النقدية الكلاسيكية السابقة السياقية منها والنسقية، حيث يعتبر حقا دراسيا خصبا بامتياز، لسببين أساسيين أولهما باعتباره مجالا جديدا وواسعا، وثانيا للطريقة الجديدة والغير مألوفة التي يعالج بها النصوص الأدبية الروائية على عكس المناهج التقليدية الأخرى، وكذلك لتوظيفه للعديد من العلوم والمعارف الإنسانية.

1.1 منهج البحث والهدف منه:

خضع بحثنا لمنهج "النقد الاجتماعي" كأداة نقدية تعضده وتوازره، للكشف عن تمثلات هذا الصراع داخل المجتمعات في النصوص الروائية، وظهر هذا المجال النقدي الواسع، كردة فعل تجديدية على المناهج النقدية الكلاسيكية السابقة السياقية منها والنسقية، حيث يعتبر حقا دراسيا خصبا بامتياز لسببين أساسيين أولهما باعتباره مجالا جديدا وواسعا، وثانيا للطريقة الجديدة والغير مألوفة التي يعالج بها النصوص الأدبية الروائية على عكس المناهج التقليدية الأخرى، وكذلك لتوظيفه للعديد من العلوم

والمعارف الإنسانية. ويعد (النقد الاجتماعي) شكلا من أشكال "التحليل النقدي"، للبحث والكشف عن مختلف الزوايا المتباينة داخل النص فدائما ما نرى جمهرة علماء الاجتماع بعد (دليس بالهين) يترصدون في جل أبحاثهم على تقصي الجوانب المظلمة من حيث البحث الاجتماعي، فينكبون إلى دراسة أسباب ظهور انتشار ظواهر سلبية داخل مجتمع ما كالطلاق، والإدمان بشتى أنواعه والتشرد والتسرب المدرسي الخ ... فيتقصون طرح هاته الظواهر (الآفات الاجتماعية)، التي تعتبر ولحد ما ظاهر سلبية وشديدة العتومة على المجتمع، محاولين بذلك إيجاد حلول جذرية أو على الأقل حلول تؤدي بالضرورة إلى تحسين الوضع والتقليص من هذه الظواهر المرضية، التي تصيب المجتمع والسعي إلى إبطاء حركة انتشارها والحد منها. لذلك يعد "النقد الاجتماعي" الأداة الإجرائية النقدية في الأدب التي ساهمت وبشكل جد كبير وواسع إلى رصد تلك المظاهر السوداوية داخل المجتمعات من خلال النصوص الروائية وما تخبئه في ثناياها من أشكال الظلم والعنف وعدم المساوات وغيرها من أشكال الصراع التي لا تكاد تخفى في نصوصنا الأدبية (الروائية بشكل خاص) وخاصة الجزائرية منها.

2. المنهج الاجتماعي

1.2 الإرهاصات الأولى للمنهج الاجتماعي:

اتفق أغلب الباحثين أن أولى الإرهاصات التي بشرت بمنهج اجتماعي لدراسة الأدب ونقده، بدأ بطريقة منهجية لما أصدرت الكاتبة والروائية الفرنسية "مدام دوستايل Anne Louise Germaine de Staël-Holstein (1766-1817)"، كتابها "الأدب في علاقته بالأنظمة الاجتماعية" عام 1800م، وكتاب "عن ألمانيا" عام 1813م تناولت فيه مدى قوة تأثير الهوية القومية والعلاقة التي تربطه بالوسط الاجتماعي، وتأثير الهوية القومية

والوسط الاجتماعي في الإبداع، والذوق الفني، ويتضح من هذا كله أن مبدأ "الأدب" الأول ما هو إلا تعبير عن المجتمع.¹ وأكدت أن طبيعة "الأدب" متغيرة بتغير المجتمعات فيتطور ويتبدل على حسب التغيرات التي تطرأ على أوضاعه (أي المجتمع)، وأنه من الضروري ظهور "أدب" جديد يعبر عن المجتمع بطريقة مغايرة، خاصة مجتمع بعد قيام الثورة الفرنسية سنة 1789م فيعبر من خلال هذا "الأدب" عن مجتمع جديد، وتقر "دوستايل" أنه صار لزاماً علينا تغيير النقد لسؤاله المعهود " كيف يكتب الأدباء؟" إلى "عن ماذا يكتبون؟"²، وأرادت من خلال طرحها هذا توجيه النقد من مساره التقليدي الذي كان يهتم بفنون الكتابة والبلاغة والخطابة والأسلوب، إلى فضاء أوسع على حسب اعتقادها، فضاء يهتم بالموضوعات والصياغات التي تنتج داخل كل مجتمع. في حين يرجع الكثير من الباحثين والنقاد جذور "المنهج الاجتماعي" للنقد الأدبي إلى "هيجل" الذي: «... ربط بين ظهور الرواية والتغيرات الاجتماعية، وذلك حين أشار إلى أن الانتقال من الملحمة إلى الرواية جاء نتيجة لصعود البرجوازية وما تملكه من هواجس خلقية وتعليمية».³

2.2 بدايات نشأة المصطلح "النقد الاجتماعي":

ويرى "بيير زيم"، أن "النقد الاجتماعي للنصوص sociocritique" و "علم اجتماع النص sociologie du texte" هما مترادفان، وأن كلمة "النقد الاجتماعي sociocritique" هي من أصبحت أكثر تداولاً من غيرها، لأنها أقصر من مصطلح "علم اجتماع النص sociologie du texte"، بالرغم من أنه يذكرنا بـ "النقد النفسي للنصوص psychocritique" لـ "شارل مورون" على حسب تعبير "بيير".⁴ فيما يوضح "بيير" أن المناهج الموجودة في "علم اجتماع الأدب sociologie de la littérature"، أنها تتجه إلى الجوانب "الموضوعاتية" أو الفكرية للعمل، فإن "علم

اجتماع النص sociologie du texte " يهتم بالكيفية التي تتجسد بها القضايا الاجتماعية والمصالح الجماعية في المستويات الدلالية والتركيبية والسردية للنص، على حسب تعبيره. وهذه القضية لا تتعلق بالنص الأدبي فقط، بل تستهدف البنى اللغوية (الخطابية) للنصوص النظرية، والأيدولوجية أو غيرها.⁵ أما في "علم اجتماع الأدب sociologie de la littérature " فيبين "بيير" أن طريقة عمله موضوعاتي، ومعاكس لتلك التأثيرات الوجدانية، والتأملات الميتافيزيقية في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وتعتمد "الموضوعاتية" في النقد على وصف عناصر الأثر بشكل يتفق مع وجوده في العالم الواقعي والخيال.

3. التمثيلات الاجتماعية.

1.3 تعريفات المصطلح العام لـ "التمثل":

إن مفهوم "التمثل" يعود إلى الكلمة اللاتينية "représenter"، والتي معناها "الاستحضار"، ويعرفه القاموس الفلسفي على أنه: " كل ما يمكن أن يتصور من طرف الفكر"، أما المعجم النفسي فيعرفه على أنه: " استدراك صورة عقلية ضمن المحتوى الذي يأتي بهدف لوضعية وسلسلة ... في العالم الذي يحيا فيه الموضوع (الفرد) "،⁶ بمعنى أنه عبارة عن عملية استحضار صورة موجودة في الذهن مسبقا، وهي مرتبطة بالضرورة بالمحيط الذي يعيش فيه ذلك الفرد أو أي فرد.

2.3 جاء في "معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية":

التمثيل الاجتماعي: هو عبارة عن عملية امتزاج بين عدة أفراد أو جماعات يمثلون ثقافات مختلفة، في وحدة متجانسة وأي تغير يطرأ على هذه الجماعات أو الأفراد، يقع على التركيبة السكانية للمجتمع بالضرورة: «أو في بنائه الطبقي، أو نظمه الاجتماعية، أو في أنماط العلاقات الاجتماعية أو في القيم والمعايير التي تؤثر في سلوك الأفراد والتي تحدد

مكاناتهم وأدوارهم في مختلف التنظيمات الاجتماعية التي ينتمون إليها.⁷ وتحدد "التصورات الاجتماعية" طريقة الاتصال وفهم المحيط والتحكم فيه، ويكون عن طريق العمليات المعرفية العامة وبوقائع التفاعل الاجتماعي، بين الفرد مع نفسه وبين الفرد مع المجتمع الكائن فيه مثل القيم والإيديولوجيات والعادات والثقافات المتوارثة، وهذا التمثل يحتم بالضرورة على الفرد التوجه له، بطابع فردي أو جماعي.

3.3 نظرة علم "الاجتماع" لمفهوم "التمثل" الإرهاصات والبدايات الأولى:

ويرى الكثير من الباحثين أن مفهوم التمثل ظهر ولأول مرة على يد الفيلسوف "آرثر شوبنهاور" في كتابه "العالم إرادة وتمثل" سنة 1818م حيث يرى "شوبنهاور": «العالم تمثلي **the word is my representation** هذه حقيقة تصدق على كل موجود يحيا ويدرك، على الرغم من أن الإنسان وحده هو الذي يستطيع أن يتمثلها من خلال وعيه المجرد التأملي...» ويرى أن العالم مجرد تمثل لأنه هو الجانب الذي نتأمله فالنصف الأول هو "الموضوع **das object – the object**" أما النصف الآخر فهو الذات.⁸

وانطلقت الجذور التاريخية لمفهوم "التمثلات الاجتماعية **représentations collectives**" بعرض سياقات تطور هذا المفهوم المسارية، بداية من لحظة التمييز التي قام بها "إميل دوركهايم **Émile Durkheim**" بين "التمثلات الفردية" و"التمثلات الجمعية" ولقد طرح "إميل دوركايم **durkheim**" مفهوم "التمثلات الاجتماعية **representations collectives**" منذ أكثر من قرن، حيث يعتبر الأب المؤسس لعلم الاجتماع الفرنسي، في كتابه المكرس للانتحار،⁹ عام 1897م وهو أول من جاء بمفهوم "التمثيل الجماعي" في منتصف القرن 19 عشر عام 1859م، في نص نشر في مجلة "الميتافيزيقيا والأخلاق **Revue de métaphysique et de morale**" في عام

1898م، ناقش فيه "دوركايم" المماثلة بين القانون "السيكولوجي" والقانون "السوسيولوجي"،¹⁰ ويعرف "إميل دوركايم Émile Durkheim" الفردانية على أنها: «ما يميز الفرد من غيره؛ أي كل ما يحيل إلى التفرد، والاختلاف عن بقية أعضاء الجماعة، واعتبر دوركايم أن التمثلات الاجتماعية يمكن النظر إليها باعتبارها أفعالا اجتماعية، وعلى هذا الأساس فالحياة الجماعية، مثل الحياة العقلية للفرد، تتكون من التمثلات».¹¹

4. تعريف الصراع اللغوي والاصطلاحي:

1.4 تعريف الصراع لغويا:

جاء في كتاب "لسان العرب" لمؤلفه "ابن منظور" المجلد الثامن باب "حرف الصاد" مادة "صَرَغَ"، الصَّرْعُ: الطرح بالأرض، صَارَعَهُ فَصَرَعَهُ يَصْرَعُهُ صَرْعًا وَصَرْعًا وَصُرْعَةً: كثير الصَّرْعِ لأقرانه يَصْرَعُ الناس.¹²

2.4 في علم النفس:

جاء في معجم علم النفس أن "الصراع": « حالة انفعالية مؤلمة تنتج عن النزاع بين الرغبات المتضادة، وعدم قضاء الحاجات أو عدم السماح في رغبة مكبوتة بالتعبير عن ذاتها شعورياً». ¹³ وإذا ما قارنا التعريف اللغوي "للمصطلح"، مع التعريف "السيكولوجي" نجد وللوهلة الأولى تيمة "العنف" الطاغية على المشهد، والتي تلقي بظلالها على أنها رمز من رموز التبرير حتى وإن كان هذا التبرير غير مشروع، فهي بكل الوسائل تريد أن تضي على مفهوم "الصراع" ولو القدر اليسير من حق الممارسة، تحت ظل وغطاء شهواني بامتياز مثل: "الرغبة" و "النزوة" و "الحاجة"، ف "الصراع" هنا عبارة عن ردة فعل على مراد لم يكن حاصلًا وقت الانفعال، ولو أنه كان حاصلًا لما كانت هناك ردة فعل عدائية، منبت شرارتها الأولى "الصراع".

3.4 في علم الاجتماع:

وورد في معجم "العلوم الاجتماعية" تعريف "للصراع" على أنه: « يشير إلى الموقف الذي يكتسب فيه منبه ما قيمتين متناقضتين أحدهما إيجابية والأخرى سلبية». ¹⁴ وكان مفهوم "الصراع" هنا هو مفهوم مرادف لكلمة "تناقض"، ف "الصراع" حسب التعريف الأخير لنا، هو تنافر المتناقضات فيما بينها، وهذا التنافر بين القطبين، هو الذي يبعث بشرة "الصراع" الذي تكون بوارده الأولى هي الرغبات والنزوات والحاجات التي لم تكن حاصلة بعد، إذن يتضح لنا جليا بعد هذا الطرح الأولي "الصراع" هو بداية الشرح، لأي تصدع يحدث داخل أي "أسرة" أو "جماعة" أو "طائفة" أو "بيئة اجتماعية" أو "مجتمع مدني" يظم خليط من الأعراق المختلفة والطوائف الدينية، التي تبني أو تشكل بدورها إن صح تعبيرى "أمة" ذات عادات وتقاليد مختلفة، هذا إن كانت هاته "الأمة" هجينة البنية الاجتماعية (وأقصد هنا اختلاف العادات والتقاليد أما أبناء الوطن فهم واحد، ولا يراد بها الهجنة المبنية على الهجرة المستقطبة من جل بقاع العالم مثل: أمريكا وكندا على سبيل المثال لا الحصر)، وكذلك الأمر مع "الأمة" (أي المجتمعات) التي لا تكون فيها هذه الفوارق بالشكل الكبير والملحوظ إن لم تكن معدومة أو نادرة تقريبا، وفي كلتا الحالتين نجد مفهوم "الصراع" مستفحل وممارس بشكل شبه دائم، ولكن تبقى أوجه ممارسته والهدف منه، هي الجوهر الرئيسي في دراستنا هاته.

4.4 في علم النفس:

وينطلق تصور "الاتجاه الفرويدي" الذي ينسب لمؤسسه "سيجموند فرويد" من فرضية كون الصراع ما هو إلا تعبير: «... عن علاقة مضطربة بين قوتين متضابرتين:

قوة تريد التحقق وأخرى تقف على طرف نقيض، حيث تعيق هذه الرغبة من التحقق والإشباع ...»¹⁵

5. ملخص رواية "الجازية والدرأويش":

تجري أحداث هذه الحكاية في إحدى "القرى" النائية الجزائرية، وتحديدًا في قرية "دشرة السبعة" خلال سبعينات القرن الماضي في فترة ما بعد الاستقلال، إبان حقبة الحكم الاشتراكي، وتصور الرواية وقائع وأحداث عن عادات وتقاليد الشعب الجزائري، وتحكي قصة فتاة ذو جمال فتان وجد ذكية وكل الصفات المميزة التي يتمناها الرجل في المرأة موجودة فيها تدعى "جازية"، توفيت أمها وهي تلدها، ومات أبوها مقتولا ويقال أنه قتل بألف بندقية على حد مزاعم أهل القرية، فتولت تربيتها عجوز من القرية تدعى "عائشة بنت سيدي منصور" وهي امرأة مجاهدة، حيث باتت "جازية" محور الصراعات اليومية في القرية، بسبب تنافس أربعة أطراف لأجل الظفر بها وهم: "الطيب" و "الشامبيط" و "عايد" و "الأحمر". حيث قسم "بن هدوقة" الرواية إلى قسمين ووسم القسم الأول بـ "الزمن الأول"، والقسم الثاني بـ "الزمن الثاني" وكل قسم جعل له أربعة فصول، فـ "الزمن الأول" خصصه للحكي عن شخصية "الطيب" الذي كان مسجونًا وصور لنا أحداث معاناته في السجن وحواراته النفسية مع نفسه داخل غرفة السجن، والأحداث التي مر بها في "الدشرة"، وحببه الشديد لـ "جازية" وخطبتها، والتهمة التي وجهت له عن مقتل الطالب المتطوع "الأحمر". أما الزمن الثاني فتارة يرويهِ غائب خارج الحكاية، وتارة أخرى ترويهِ شخصية "الطيب"، عن قصة "عائدة" ذلك الشاب المهاجر الذي عاد حبا لبيئته، ورغبة منه في التعرف على "جازية" والزواج منها بعد أن ذاع سيطها في أرض المهجر، إضافة إلى سرد قصة "الطلبة الجامعيين" السبعة (سته فتيان والفتاة الوحيدة صافية)، الذين أتوا لدراسة المشروع الذي تزعمه ابن "الشامبيط" بدعم من شركة أجنبية لبناء السد وترحيل سكان "القرية"، وتعويضهم بقطعة أرض أخرى لبناء

"قرية" جديدة بدل قريتهم القديمة، حيث لقي "الطلبة" ترحيبا كبيرا من قبل "القرويين" لدرجة أن أب "الطيب" "الأخضر بن جبايلي" رحب بكل من الطالب "الأحمر" و "صفية" في منزله. و "الأحمر" طالب كان يعد دراسة عن السدود في المناطق الجبلية لكنه بعد دراسته للمشروع اتضح له أن المشروع غير صالح للبناء، بالإضافة إلى أن أهل "القرية" رفضوا الرحيل والتخلي عن قريتهم. وأقيمت مراسم زردة في جامع "أولياء السبع" حيث ذبح فيها ثور احتفالا بالطلاب، دوت فيها أصوات الزرنة والبندير وشرع الدراويش في الألحان، حيث حضر النساء والرجال والطلبة المتطوعون مع "صافية" و "الإمام" و "الشونبيط" و "أعيان القرية" و "الدراويش"، فرقص الطلبة ومارس "الدراويش" طقوسهم بمناجلهم الحادة التي أخافت "الطلبة" ماعدا "الأحمر" الذي ظل يرقص معهم، ثم حضرت "جازية" على الحضرة وهي ملثمة، ثم قدم منجل إلى الطالب "الأحمر" وسحب "جازية" إلى ساحة الحفلة وقدم لها منجلا وعلقته على رقبتها ورقصا معا، فغضب الكل من "جازية" لأنها حطمت عادات وتقاليد القرية. رحل جميع "الطلبة" القرية ما عدا "الأحمر" وبقي يتجول فيها مدة حتى وجد مقتول عند حافة الجرف، فاتهم "الطيب" بقتله ظنا منهم أنه قتله انتقاما بسبب رقصه مع "جازية" أمام الجميع. وبعد أيام عاد "عائد" ابن "السايج بولمحاين" من المهجر بحثا عن صديق أبيه "الأخضر بن جبايلي" فرحب به هذا الأخير واستضافه في بيته، فرأى "عائد" ابنة صديق أبيه "حبيلة" أول مرة فظن أنها "جازية" فعرف بأخبار أهل "القرية" وخاصة أن "جازية" كانت خطيبة "الطيب" فبدأ يتراجع عن حلمه بالزواج من "جازية"، وأصبح يرغب بالزواج من "حبيلة". وفي يوم من أيام الخميس عاد ابن "الشونبيط" الذي كان يدرس بـ "أمريكا"، فأقام "الشونبيط" زردة كبيرة احتفالا بعودة ابنه ودعى لها جميع أهل "القرية"، وجعلها فرصة ليعرف "جازية" بابنه ويطلبها للزواج منه، ولكن حدث أمر مفاجئ وهو تأخر "الشونبيط" و

"ابنه" من الحضور فشاع بشكل مفاجئ وسريع خبر موت "الشونبيط". وتنتهي مجرى أحداث الرواية، بطلب "عايد" يد "حبيلة" للزواج من أبيها حيث عبر بقوله: «الجازية حلم، والأحلام لا تتحقق لكل الناس! وأنا يا عم، عاهدت أبي أن أعود. وقد عدت ... وفي أول يوم وصلت على هذه الدشرة شاءت الأقدار أن لا ألتقي بالجازية، ولكن بحبيلة ... فهل تقبلني يا عم! قرينا لها؟ وهل تقبلني هي؟ ...»¹⁶، هنالك أطلق "الأخضر بن جبايلي" البارود تعبيرا عن قبوله.

1.5 أشكال تمثيلات الصراع الاجتماعي في رواية "الجازية والدرأوش":

إن أولى تمثيلات الصراعات الاجتماعية في هذه الرواية يدور حول فكرة "الصراع" من أجل "المرأة"، بل وهو "الصراع" المهيمن على جل أحداث الرواية، ولكن هذا الهدف المحوري يخفي وراءه قضايا ومشاكل وطن بكامله وهو في أوج تحولاته، وجل هذه التحولات لا نستطيع تحديدها من دون تحديد ملامح المجال الزمني والمكاني، وقراءة طبيعية لشخصيات ثم معرفة طبيعة التغير الاجتماعي في هذا المجال ليكون في مقدورنا قراءة طبيعة النزاعات ومظاهرها.¹⁷

2.5 المجال الزمكاني:

لا يفصل "بن هدوقة" في روايته بين "الزمان" و"المكان"،¹⁸ ورغم كون "القرية" مكانا مفتوحا إلا أنه يقدمها على أنها دائرة مغلقة،¹⁹ ويمثلها في كثير من الأحيان على أنها هي والسجن سواء، لدرجة أن شخصية "الطيب" السجين لا يفرق بين المكانين، مكانه في "السجن" و"القرية" كمكان،²⁰ أما "جامع السبعة" فهو المكان والمؤسسة الحيوية والنقطة المركزية في العالم الاجتماعي "للقرية"،²¹ فهو بمثابة ذاكرة "القرية" ومنطلق معتقداتها لأنه يحمل أضرحة سبعة من الأولياء فساكن "القرية" يؤمنون بقدراتهم الخارقة لذلك تجدهم يتبركون بهم ويتقربون إليهم بالذبائح والودائع. أما شخصية "الطيب" الذي سجن يكتشف

ضرورة المقاومة وعدم الاستسلام، بسبب استرجاعه لجميع ذكرياته وإدراكه لجوهر الأمور وهو داخل السجن، فيرتبط عاطفيا بـ "الطالبة" التي كانت تزوره، ويدرك حقيقة أنها هي التي تناسبه كزوجة ورفيقة دربه للحياة بدل حلمه وحلم جميع شباب "القرية" الذي لم يتحقق وهو الزواج بالبنات الجميلة "جازية". وهنا تتجلى لنا أولى مظاهر "الصراع الاجتماعي" وهو "الصراع" لأجل "المرأة"، تلك القدسية الزائدة التي أضفتها مجتمعاتنا العربية بصفة عامة ومجتمعنا الجزائري بشكل خاص على ذات المرأة بطريقة مبالغ فيها، ولكن هذه القدسية لم تكن إلا لأجل الجمال فقط، أما الجوانب الروحية والعلمية والقيمية المختلفة التي كانت أولى أن تكون هي المعيار الأول لاختيارها والصراع لأجل الظفر بها، أهملت تماما فتجد الصراع الأساسي والملحمة بل وبسببه نتجت صراعات اجتماعية ونفسية أخرى لدرجة التداخل فيما بينها، فنجد صراع "الطيب" المسجون مع نفسه داخل السجن، وصراعه لأجل الزواج وحيثه الأولى بين "جازية" و "الطالبة" التي كانت تزوره في السجن، وحلمه الذي أراد تحقيقه ولم يتحقق وهو بناء "مدينة" جديدة مكان "القرية" القديمة التي كان يعيش فيها، وهذا ما جعله يسافر ليكمل دراسته فلما عاد إليها اكتشف حقيقة أنه يضيع عمرنا في تعلم أشياء لا نحتاج إليها،²² وهذا كناية منه على مدى التخلف والجهل الذي وصلت إليه "القرية" ومجتمعها بجل أطيافه، لذلك لم تقبل ولن تقبل بأي علم جديد أو شهادة يجلبها لها ابن من أبنائها، فعقيدة "الأضرحة" و"الزردة" وشطحات "ال دراويش" استولت على قلوبهم قبل عقولهم، وتداخل الأزمنة داخل مجرى أحداث الرواية يجعل من المستحيل وضع خط واحد ومستمر، فكل الشخصيات تبحث عن مستقبل مشرق، إنه السكون أو التراجع وهذا ما أدركته شخصية "الطيب" بعد استرجاعه أحداث القرية وهو في السجن: «ما أغبى الجازية، تحلم بالمستقبل في أرض زمانها ماض مستمر».²³

3.5 الشخصيات:

بما أن الزمان ساكن على حد تعبير "دروش" فسكن معه المكان ولم يتطور وهذا راجع إلى سكون "الشخصيات" وجمودها فكريا وروحيا، جعل منها (أي الشخصيات) محل وضع هش من حيث التصنيف، فلا يسعنا تصنيفها تصنيفا محوريا، بمفهوم "لوكاتش" أو "جولدمان" أي بمفهوم البطل الإشكالي ولا حتى بمفهوم "منظور الرواية الجديدة"، وما ينطبق عليه هو "التحليل البنيوي" الذي يتأسس من خلال "نظام علائقي" بين مختلف الشخصيات وهذا على مستوى "الفعل" و "الوظيفة" لذلك صنفنا "دروش" مجموع الشخصيات وفق تباين المصالح أو الانتماء إلى نفس الخطاب إلى ثلاثة زمر²⁴:

وتتمثل "الزمرة الأولى" في أسرة "الأخضر الجبالي" المتكونة من "الأب الأخضر"، الابن "الطيب"، الأم "هادية"، البنت "حبيبة"، ثم تليها شخصيات البنت "جازية"، عايد "ابن السايح" بوا لمحايين"، ومجموعة "الطلبة" المتطوعين. "الزمرة الثانية": "الدرأوش"، و"الراعي". "الزمرة الثالثة": "الشامبيط"، و "ابن الشامبيط".²⁵

4.5 الأسباب التي أدت إلى التغير الاجتماعي:

لا يخفى علينا أن مفهوم "الصراع" مرتبط بنظرية "التغير الاجتماعي"، لأننا دائما مان طرح سؤالا فرض علينا اعتباطيا مفاده: ما هو المحرك الأساسي في عملية التغير؟ وهذا السؤال الجوهرى يقودنا بالضرورة لطرح أسئلة فرعية أخرى وهي: وإلى أي اتجاه يسير التغير؟ ومن له صدارة أولويات التغير؟ وماهي معوقات التغير الإيجابي؟ وجل هذه التساؤلات ماهي إلا مفاتيح للتحليل نسعى جاهدين للبحث عن موقعها في النص، وكما يشير "بيير زيمّا" دائما إلى أن قوة الخطاب الروائي وعمله يمكن أن تكون في جملة واحدة، ننطلق منها في تحليلاتنا الاجتماعية باحثين عن "تمثلات الصراع" داخل أنساقه المضمرّة، وهذا ما قرأناه في الجازية والدرأوش فجذلية "الرفض" و"المقاومة" التي تتمحور عليها الرواية قريبة

جدا من طرح "عبد القادر جغلول" و "مصطفى الأشرف"²⁶ ففي حوار "الطيب" و الطالب "الأحمر" يُطرح السؤال: «من أين نبدأ التغيير؟»²⁷ فعلى لسان المجاهد الأب "الأخضر الجبالي" فالحرية مجرد رفض،²⁸ وعلى لسان "جازية" الزواج منها سيكون بالحرام ورفض لكل القيم والعادات المتعارف عليها، ورفض لتعاليم الدين وأنه بمثابة موت لكل واحد من أزواجها،²⁹ وهذا التشبث بالماضي والأفكار البالية والمعتقدات الخرافية هو الذي أبقي على القرية في وضع السكون وعدم تمكنها من الإقلاع والتغير إلى درجة التقدم والازدهار، فالهاوية الحقيقة حسب النص هي أفكار الناس،³⁰ لأن كل الأحداث الماضية الطويلة أحدثت ثقباً في "الدشرة" فصارت أساطير، لذلك تنتظر الرواية أن التشبث بالتاريخ ما هو إلا فكرة سلبية،³¹ وإذا ما دققنا النظر نجد أن "بن هدوقة" يرفض "الأفكار" القديمة والبالية التي قامت على أسس من الخرافات والمعتقدات التي يؤمن بها القرويون ولا يقبلون لها بديلاً وطرقتها أساطير الأولين من أجدادهم، فالحلم بالماضي على حد تعبيره ما هو إلا حنين إلى الظلام.³² فالصراع الحاصل هنا بين كل ما هو "قديم" لم يتغير وبين كل ما هو "جديد" يراد من خلاله التغيير، فمقاومة أهل "القرية" لكل ما جديد وغريب عن عاداتهم وتقاليدهم ما هو إلا مظهر من مظاهر "الصراع الاجتماعي" بشتى أنواعه، واتصافهم بروح المقاومة الشرسة لأجل أفكار ومعتقدات آمنوا ولا زالوا يؤمنون بها جعلهم بطريقة لا شعورية يتصفون بالاستسلام والسكون والرضوخ، وهذا هو السبب الجوهرى الذي أعاق عملية التغيير الإيجابي عندهم.³³

5.5 أولى مفاتيح الصراع إشكالية "المدينة والريف":

يطرح النص إشكالية "المدينة" و "الريف" ويرى أن التغيير لا بد أن يشرع فيه انطلاقاً من "الريف" والصراع الأساسى الذي أحبط عملية التغيير والتطور هو عقلية القرويين

التي لا تزال تتصارع مع ماضيها المليء بالخرافات وهو رافض للتغيير تماما، وهذه أولى مظاهر "الصراع الاجتماعي" داخل هذا المجتمع القروي، وهنا يظهر "صراع الأفكار" بين مختلف شرائح سكان "القرية"، فعناصر "الزمرة الأولى" ترى أن التغيير لا يمكن أن يتباشر فيه عناصر أجنبية بل يجب أن ينبع من الداخل على حد تعبير "الطبيب" ابن "الأخضر الجبالي" لما انتقد الطالب "الأحمر"، لذلك رفض الفلاحون مغادرة القرية ورفضوا بناء السد ورفضوا التغيير البذي سيأتيهم من حفدة "الشانبيط" و "الدوائر القدامى".³⁴

6.5 الصراع "الأيديولوجي":

وهو الصراع المرير بين "الأفكار القديمة" التي أبت التغيير، و"الأفكار الجديدة" التي دعت إلى التطور باسم العلم والازدهار والتقدم، صراع بين "القرية" و "المدينة"، إنه صراع بين الزمرتين "الزمرة الأولى" و"الزمرة الثانية"، ف "الزمرة الأولى" تدعوا لتبني القديم والتمسك به ورفض كل تغيير يأتي من خارج "القرية"، أما "الزمرة الثانية" التي تبنت المشروع الاشتراكي أدركت صعوبة إقناع أهل "القرية" بضرورة التغير لأن قصر عقولهم وتفكيرهم لا يخول لهم القدرة على استيعاب وإدراك المشاريع الكبرى أما "الزمرة الثالثة" فتتصف بالخيانة والانتهازية لوقوفها مع "أمريكا" وإن بدت بالظاهر ليبرالية التوجه.³⁵

7.5 صراع القيم الاجتماعية:

يبدو ومن الوهلة الأولى أن الشرح الكبير الذي أحدثه "الصراع" في هذا العالم الاجتماعي بين بين قيم "المدينة" وقيم "الريف"، تمثل في ظهور عادات لم يعهدها أهل "القرية" في حياتهم البتة، فظهور الطالبة "صافية" مع الطلبة "المتطوعين" أثار الكثير من الجدل والثرثرة في "القرية" عن حياة المرأة في المدينة وكيف أن ظاهرة حلق النساء لرؤوسهن في المدينة ولبسها للسروال أطلقت عنان استنكارهم لمثل هذه المظاهر التي لم يتوارثوها من أسلافهم طيلة حياتهم قط، وجل هذه التناقضات ساهمت في تأجيج "الصراع" بين الجنسين

بين "الأخ" و"أخته" و"الأب" و"ابنته" واستنكار المرأة في كثير من الأحيان من تصرفات الرجل التي لم تكن تستسيغها ورافضة لها إلى حد كبير، وهذا ما حدث مع "حبيبة" لما كانت تبدي رأيها في بعض الأمور رغم تحذيرات الأب لها دائما، لدرجة أن "الطيب" أخاها كاد أن يضربها، فلم تكن ثنائية الريف/المدينة هي الصراع المسيطر على هذا المجتمع القروي فقط بل كانت هناك ثنائيات أخرى ومن أهمها ثنائية المرأة/الرجل أو ما يطلق عليه بثنائية "متغيرات الجنس"، كما يظهر الاختلاف بين الجنسين في تقسيم العمل ويظهر هذا بتكليف الأخضر لـ "صافية" الطالبة بأعمال نسائية بالرغم من مصاحبتها للمتطوعين ومخاطبة الطالب "الأحمر" لها بنفس طريقة الأب والفلاحين ومعارضته لها في كل رأي تقترحه وهذا وإن دل إنما يدل على النزعة "البطريقية" للرجل على المرأة ومحاولة إخماد صوتها دائما.³⁶

8.5 صراع الأجيال:

وتبرز تمثلات هذا "الصراع" في علاقة "الابن" مع "ابنه" فرؤية الأحداث من طرف "الأبناء" لم تكن متوافقة مع "الآباء" وخير مثال على ذلك خطبة "الطيب" لـ "لجاجة" كان بإصرار من والده لأنه لم يكن مقتنعا بها إطلاقا، وكذلك رؤيته للأحداث كانت مختلفة عن رؤية أبيه لها. ويظهر هذا "الصراع" كذلك في علاقة الطالب "الأحمر" بـ "الأخضر الجبالي" وهذا بسبب الفروقات الثقافية والعلمية بينهما وعدم التوافق الفكري الذي من الصعب إن لم نقل مستحيل أن ينسجما معا.³⁷

9.5 الصراع الطبقي داخل المجتمع القروي:

ولا نريد الخوض فيه بإسهاب طويل إنما نود التلميح لكيفية تمثله داخل النص الروائي، ويظهر جليا بتمثلاته من خلال الفروقات المادية والثقافية الشاسعة والمختلفة بين جميع شخصيات الرواية سواء من الزمرة الأولى أو الثانية أو الثالثة.

الخاتمة:

وفي ختام بحثنا هذا نخلص إلى نتيجة مفادها، أن "تمثلات الصراع الاجتماعي" في مجتمعاتنا بشكلها الواقعي المعاش أمر لا مفر لنا منه، والنص "الروائي" ما هو إلا انعكاسا لهذا الواقع، والمهمة المقدسة التي يريد أن يبعث بها "المبدع" عن طريق عمله "الإبداعي"، هو محاولة الذات المبدعة الكشف عن هذه "التمثلات"، جاهدة وبكل جدارة كشف "المضمرة" و"المسكوت" عنه داخل "النص"، وتوضيح الكيفية التي تمثلتها مختلف "الصراعات الاجتماعية" داخل عملها الفني، محاولة منها لتسليط الضوء على أهم قضايا المجتمع التي تؤرقه، ووضع آليات لمواجهتها عن طريق طرح إشكاليات جوهرية، توضع لها في نهاية العمل بعض الفرضيات التي تساهم في التقليل من حدتها، إن لم نقل بحلها بطريقة جذية، و هنا يلعب الأدب دوره بطريقة "اجتماعية" بفضل العلاقة المتينة التي تربطه بالإنسان، الذي بدوره كائن "اجتماعي" بامتياز، وهنا تكمن مهمة "الأدب" المقدسة، ف "الكلمة تعمل عملها أكثر مما تعمله النار في الحديد".

الهوامش:

¹ ينظر: هويدي صالح، النقد الأدبي الحديث قضاياه ومناهجه، نقلا عن: آزاده منتظري، محمد خاقاني، منصوره زركوب، النقد الاجتماعي للأدب نشأته وتطوره، مجلة: إضاءات نقدية (فصلية محكمة)، العدد: 06، 2012، ص: 161.

² ينظر: وائل بركات، غسان السيد، مقدمة في المناهج النقدية للتحليل الأدبي، نقلا عن: نفس المرجع، ص: 161.

³ رينيه ويليك، نظرية الأدب، نقلا من مقالة: أ. حلاب نور الهدى، النقد الاجتماعي، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، العراق/جامعة بابل، العدد: 21، 2015، ص: 40.

- ⁴ ينظر: بدير زيماء، النقد الاجتماعي (نحو علم اجتماع النص الأدبي)، تر: عايدة لطفي، مراجعة: د. أمينة رشيد، د. سيد بحراوي، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، 1991، ص: 11.
- ⁵ ينظر: نفس المصدر، ص: 11.
- ⁶ عامر نورة، التصورات الاجتماعية للعنف الرمزي من خلال الكتابات الجدرانية، مذكرة ماجستير في علم النفس الاجتماعي، تخصص: علم النفس الاجتماعي، المشرف: أ.د. الهاشمي لوكيا، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم: علم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا، جامعة منتوري قسنطينة، 2005، ص 12.
- ⁷ أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، لبنان، مكتبة لبنان ناشرون، 1993، ص 382-381.
- ⁸ ينظر: آرثر شوبنهاور، العالم إرادة وتمثلا، القاهرة، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، 2006، ص: 55-58.
- ⁹ ينظر: بن عودة نصر الدين، ميلود حسين أحمد، دراسة سوسيولوجية للتمثلات الاجتماعية، مجلة دفاتر البحوث العلمية، (الجزائر)، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، العدد2، المجلد 11، 2023، ص: 981.
- ¹⁰ ينظر: خطري عياش، أسس التمثلات الاجتماعية: المصادر والنظريات والممارسات، مجلة عمران: فصلية محكمة تعنى بالعلوم الاجتماعية، الدوحة قطر، العدد 48، المجلد 12، 2024، ص: 238.
- ¹¹ ينظر: نفس المرجع، ص: 238.
- ¹² ابن منظور، لسان العرب، بيروت، لبنان، دار صادر، الطبعة السادسة، 2008، ص: 227.
- ¹³ فاخر عاقل، معجم علم النفس، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الثالثة، 1979، ص: 27.
- ¹⁴ مصطفى عشوي، مدخل إلى علم النفس، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1999، ص: 109.
- ¹⁵ نادية سعيد عيشور، الصراع الاجتماعي، الاتجاهات التنظيرية: التقليدية والسوسيولوجية، عمان/الأردن، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، 2013، ص: 20.
- ¹⁶ عبد الحميد بن هدوقة، الجازية والدرائش، لبنان/بيروت، دار الآداب، 1991، الطبعة الثانية، ص: 196، 197.
- ¹⁷ ينظر: دروش فاطمة فضيلة، في سوسيولوجيا الرواية العربية المعاصرة، الجزائر، دار التنوير، 2013، ص: 100.
- ¹⁸ ينظر: عبد الحميد بن هدوقة، الجازية والدرائش، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983، ص: 57.

- ¹⁹ ينظر: نفس المصدر، ص: 42.
- ²⁰ ينظر: نفس المصدر، ص: 08.
- ²¹ ينظر: نفس المصدر، ص: 42.
- ²² ينظر: عبد الحميد بن هدوقة، الجازية والدرأويش، ص: 12-14.
- ²³ نفس المصدر، ص: 11.
- ²⁴ ينظر: دروش فاطمة فضيلة، في سوسيولوجيا الرواية العربية المعاصرة، ص: 101.
- ²⁵ ينظر: نفس المصدر، ص: 102، 103.
- ²⁶ ينظر: نفس المصدر، ص: 104.
- ²⁷ عبد الحميد بن هدوقة، الجازية والدرأويش، ص: 20.
- ²⁸ ينظر: نفس المصدر، ص: 60.
- ²⁹ ينظر: نفس المصدر، ص: 76.
- ³⁰ ينظر: نفس المصدر، ص: 50.
- ³¹ ينظر: نفس المصدر، ص: 11.
- ³² ينظر: نفس المصدر، ص: 65.
- ³³ ينظر: دروش فاطمة فضيلة، في سوسيولوجيا الرواية العربية المعاصرة، ص: 106.
- ³⁴ ينظر: دروش فاطمة فضيلة، في سوسيولوجيا الرواية العربية المعاصرة، ص: 106، 107.
- ³⁵ ينظر: نفس المصدر، ص: 107، 108.
- ³⁶ ينظر: دروش فاطمة فضيلة، في سوسيولوجيا الرواية العربية المعاصرة، ص: 108، 109.
- ³⁷ ينظر: نفس المصدر، ص: 109.

المراجع:

- (1) أ. حلاب نور الهدى، النقد الاجتماعي، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، العراق/جامعة بابل، العدد: 21، 2015.
- (2) أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، لبنان، مكتبة لبنان ناشرون، 1993.
- (3) آرثر شوبنهاور، العالم إرادة وتمثلا، القاهرة، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، 2006.
- (4) ابن منظور، لسان العرب، بيروت، لبنان، دار صادر، الطبعة السادسة، 2008، ص: 227.

- (5) بن عودة نصر الدين، ميلود حسين أحمد، دراسة سوسيولوجية للتمثيلات الاجتماعية، مجلة دفاتر البحوث العلمية، (الجزائر)، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، العدد2، المجلد 11، 2023.
- (6) ببيير زيماء، النقد الاجتماعي (نحو علم اجتماع النص الأدبي)، تر: عايدة لطفي، مراجعة: د. أمينة رشيد، د. سيد بحراوي، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، 1991.
- (7) خطري عياش، أسس التمثيلات الاجتماعية: المصادر والنظريات والممارسات، مجلة عمران: فصلية محكمة تعنى بالعلوم الاجتماعية، الدوحة قطر، العدد 48، المجلد 12، 2024.
- (8) دروش فاطمة فضيلة، في سوسيولوجيا الرواية العربية المعاصرة، الجزائر، دار التتوير، 2013.
- (9) رينيه ويليك، نظرية الأدب، نقلا من مقالة: أ. حلاب نور الهدى، النقد الاجتماعي، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، العراق/جامعة بابل، العدد: 21، 2015، ص: 40.
- (10) عامر نورة، التصورات الاجتماعية للعنف الرمزي من خلال الكتابات الجدرانية، مذكرة ماجستير في علم النفس الاجتماعي، تخصص: علم النفس الاجتماعي، المشرف: أ.د الهاشمي لوكيا، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم: علم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا، جامعة منتوري قسنطينة، 2005.
- (11) عبد الحميد بن هدوقة، الجازية والدرائش، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الطبعة الأولى، 1983.
- (12) عبد الحميد بن هدوقة، الجازية والدرائش، لبنان/بيروت، دار الآداب، الطبعة الثانية، 1991.
- (13) فاخر عاقل، معجم علم النفس، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الثالثة، 1979.
- (14) مصطفى عشوي، مدخل إلى علم النفس، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1999.
- (15) نادية سعيد عيشور، الصراع الاجتماعي، الاتجاهات التنظيرية: التقليدية والسياسيولوجية، عمان/الأردن، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، 2013.
- (16) هويدي صالح، النقد الأدبي الحديث قضاياه ومناهجه، نقلا عن: آزاده منتظري، محمد خاقاني، منصوره زركوب، النقد الاجتماعي للأدب نشأته وتطوره، مجلة: إضاءات نقدية (فصلية محكمة)، العدد: 06، 2012.
- (17) وائل بركات، غسان السيد، مقدمة في المناهج النقدية للتحليل الأدبي.